



جامعة الأنبار
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم التاريخ / الدراسات الأولية
المرحلة: الأولى / المستوى الثاني
أستاذ المادة: أ.د.لطيف خلف الدليمي

المحاضرة السابعة

مدن الحجاز:

أولاً : مكة

ثانياً: يثرب

ثالثاً: الطائف

مدن الحجاز

أهمية بلاد الحجاز:

تعتبر بلاد الحجاز من أهم أقسام الجزيرة العربية من الناحيتين الدينية والاقتصادية . فمن الناحية الدينية كانت بلاد الحجاز ملتقى الاديان فانتشرت فيها الى جانب الوثنية ، الديانات السماوية كاليهودية والنصرانية والجاز هو الموطن الاول للدعوة الاسلامية . وفيه ولد الرسول صلی الله عليه وسلم وإلى المدينة هاجر وفيه توفي، ومنه انطلقت دعوة التوحيد والعقيدة الاسلامية.

أما من الناحية الاقتصادية : كان الحجاز جسراً بين بلاد الشام وحوض البحر المتوسط من ناحية، واليمن والمحيط الهندي من ناحية أخرى، ففي الحجاز كان يمر شريان رئيسي من شرائين التجارة العالمية في ذلك الوقت، وهو الطريق البري الذي يصل بين جنوب شبه الجزيرة العربية وشمالها ومنه كانت تتفرع طرق تتجه صوب الشرق والشمال الشرقي، وفي موازاته شريان آخر كان له خطره في عالم التجارة العالمية هو طريق البحر الأحمر.

فكان لذلك اثر في قيام المدن التجارية وازدهارها بالجاز، والتي كانت بمثابة محطات تجارية على هذا الطريق التجاري فازدهرت مكة والطائف وبثرب ، وقد ساعد على ازدهار هذه المدن ايضاً عامل اخر هو قربها من الاسواق التجارية المشهورة التي كانت تعقد في الاشهر الحرم ،مثل سوق عكاظ ،سوق مجنة ،سوق حباشة ،سوق ذي المجاز.

ولأهمية المنطقة حاول اليونان والرومان بعد استيلائهم على الشام ومصر ، الاستيلاء على الجاز ليتمكنوا بذلك من الوصول إلى اليمن، ووضع أيديهم على الطريقين البري والبحري، غير أن محاولاتهم لم تنجح، فلما يئسوا من الاستيلاء على الجاز بالطريق المباشر وضعوا مشروعًا حربياً لاحتلال الجاز من الجنوب عن طريق الحبشة حلقة الروم البيزنطيين، وكان الأحباش قد استولوا على اليمن سنة ٥٢٥م، فسار القائد الحبشي أبرهة الأشرم بجيش كبير سنة ٥٧٠م لاحتلال مكة التي أصبحت مركز التجمع العربي ثم السير شمالاً للاتصال بحلفائه الروم، ولكن الحملة الحبشية أخفقت، وأدى تمزق جيش الحبشة إلى ضعف قوة الأحباش في اليمن مما سهل طردتهم من اليمن على يد سيف بن ذي يزن وتدخل الفرس، كما دعم في الوقت نفسه مركز الجاز بين العرب ودعم أهمية مكة.

أولاً: مكة

الموقع الجغرافي:

تقع مَكَّة المكرَّمة في الجانب الغربي من جزيرة العرب، في بطن وادٍ ضيق طويلاً، من أودية جبال السّراة، غير ذي زرع، يسمّيه المكيون وادي إبراهيم، وعمرانها بيotta منتشرة على امتداد هذا الوادي على شكل هلالٍ يمتد إلى الاستطالة - حيث يتجه جانباً نحو سفوح جبل قعيقان غرباً، وجبل أبو قبيس شرقاً، ومن محلّة المعابدة طولاً إلى محلّة المسفلة جنوباً - تحيط به الجبال والتلال الجرداة والصخور الصلبة من كلّ جانب؛ لتشكّل حول مَكَّة وكعبتها دائرة، ومن أضخم جبال مكة وأعظمها أبو قبيس، ويقع إلى الجهة الشرقيّة منها، ويطلُّ على المسجد الحرام، ومن جبالها المعروفة قعيقان، وفاضح، والمحصب، وثور، والحجون، وحراء، وتقاحة، والفق.

وكانت المناطق المنخفضة نسبياً من ساحة مَكَّة تسمى البطحاء، وكلُّ ما نزل عن الحرم المكي يسمونه "المسفلة"، وما ارتفع عنه يسمونه "المعلاة"، ولها شعاب منها شعب الحجون وشعب دار مال الله، وشعب فلق ابن الزبير... الخ.

اما مناخها:

أمّا مناخ مَكَّة وجُوهاً فهو حارٌ جافٌّ اذ ترتفع الحرارة فيها ارتفاعاً شديداً، وتكون دافئة في. وكانت المياه بمكة شحّيحة ، فكان اهلها يشربون من آبار خارجة من الحرم ،فيحملون الماء في المزاد والقرب ويسبونه في احواض مبنية بجوار الكعبة ليشرب حاج البيت ، وينسب المؤرخون الى قصي وهاشم بن عبد مناف وامية بن عبد شمس ، وعدة بطون من قريش حفر آبار كثيرة حول مكة.

الشتاء ولموقع مَكَّة في وادٍ غير ذي زرع لجأ أهلها إلى الاعتماد على غيرهم في حياتهم المعيشية وفي أقواتهم وخصوصاً من الطائف والسراء.

وكان السيل الجارفة تهدد المدينة في فصل الخريف ،ولعل اقدم سيل ذكر الذي حدث في عهد الجرميين ودخل الكعبة ودهمتها، فأعادت قبيلة جرهم بنائها ،وهناك سيل اخر ذكرته المصادر حدث في عهد خزاعة ووصلت المياه الكعبة واحاطتها ،وعرف باسم سيل قارة لذلك نجد أن الخليفة الراشدين ادركوا خطورة السيل فشيدوا السدود في الاحياء والمناطق المرتفعة، ومثال ذلك ما حدث في عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب ﷺ وكذلك في العصر الاموي في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان.

- تسمية مكة:

وردت عدة تسميات لمكة كان أهمها وعلى النحو الآتي:

- سميت بمكة نسبةً إلى ازدحام الناس فيها.

- وقيل أنها سميت بذلك الاسم كون عرب قبل الاسلام كانوا يقولون لا يتم حجنا حتى نأتي مكان الكعبة فنـك فيه أي نصرـر صغير المكان حول الكعبة ،وكـانوا يصـفرون ويصفـقون بـايديـهم اذا كانوا بها، وـمعـنى المـكان اـسـم طـائرـ الرياض.

- وذهب اخـرون في أن سـبـب التـسمـيـة يـرجـع إـلـى مـوـقـعـها الجـغـرافـي كـونـها تـقـع بـيـن جـبـلـين مـرـتـفـعـين عـلـيـها وـهـي في وـادـيـهـ.

- وورد اسم مكة في جغرافية بطليوس (الفيلسوف يوناني) باسم (ماكورابا) وهو مشتق من الكلمة السـبـلـيـة ((مـكـرـبـ)) أو (مـكـورـاـيـاـ) والـتـي تعـني المـقـدـسـ، وـهـو لـقـبـ كان يـحـلـمـ الـكـهـنـةـ فـي سـبـاـ قـبـلـ أـنـ يـصـبـحـوا مـلـوكـ وـهـنـاـ نـجـدـ أـنـ اـنـهـاـ تـعـنيـ المـقـرـبـ مـنـ اللهـ لـأـنـهـاـ مـدـيـنـةـ مـقـدـسـةـ، فـيـ حـيـنـ أـنـ بـرـوـكـلـمـانـ يـرـجـعـ اـصـلـ التـسـمـيـةـ إـلـىـ كـلـمـةـ مـكـرـبـ وـانـهـاـ مـشـتـقـةـ مـنـهـاـ اوـ مـقـرـبـ الـتـيـ شـاعـ اـسـتـعـالـهـاـ سـيـماـ فـيـ جـنـوبـ جـزـيرـةـ الـعـربـ وـالـتـيـ تـعـنيـ الـهـيـكلـ.

- وهناك رأـيـ آخر يـرـجـعـ لـفـظـةـ مـكـةـ إـلـىـ الـكـلـمـةـ الـبـابـلـيـةـ ((مـكـاـ)) وـالـتـيـ تـعـنيـ الـبـيـتـ وـهـوـ اـسـمـ الـكـعـبـةـ عـنـ الـعـربـ.

فضـلاـ عنـ هـذـاـ وـذـاكـ فـقـدـ وـرـدـتـ اـسـمـانـهاـ وـاضـحـاـ فـيـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ "مـكـةـ" وـ"بـكـةـ" ، وـ"الـبـلـدـ الـأـمـيـنـ" ، وـمـنـ أـشـهـرـ اـسـمـانـهاـ "أـمـ الـقـرـىـ" ، وـلـهـاـ أـسـمـاءـ أـخـرىـ مـنـهـاـ "أـمـ رـحـمـ" ، وـ"الـحـاطـمـةـ" ، لـأـنـهـاـ تـحـطـمـ مـنـ اـسـتـخـافـ بـهـاـ ، وـ"الـبـيـتـ الـعـتـيقـ"؛ لـأـنـهـ عـتـقـ مـنـ الـجـبـاـبـرـةـ ، وـ"الـرـأـسـ"؛ لـأـنـهـاـ مـثـلـ رـأـسـ الـإـنـسـانـ ، وـ"الـحـرـمـ الـأـمـيـنـ" ، وـ"الـقـرـيـةـ" ، وـ"الـوـادـيـ" ، وـ"الـبـلـدـ" ، وـ"الـبـلـدـ" ، وـ"الـمـعـادـ" ، وـ"الـصـلـاحـ" ، وـ"الـعـرـشـ" ، وـ"الـقـادـسـ"؛ لـأـنـهـاـ تـقـسـ مـنـ الـذـنـوبـ؛ أـيـ: تـطـهـرـ ، وـ"الـمـقـدـسـةـ" ، وـ"الـنـاسـةـ" وـ"الـبـاسـةـ" بـالـبـاءـ الـمـوـحـدـةـ لـأـنـهـاـ تـبـسـ؛ أـيـ: تـحـطـمـ الـمـلـحـدـيـنـ.

ويـرـوـيـ أـنـهـاـ سـمـيتـ مـكـةـ لـقـلـةـ مـاـهـاـ، مـنـ قـوـلـ الـعـربـ: "أـمـتـكـ الـفـصـيـلـ ماـ فـيـ ضـرـعـ أـمـهـ"؛ أـيـ: اـمـتـصـهـ مـصـاـ شـدـيـداـ، وـقـيـلـ أـيـضـاـ: لـأـنـهـ تـمـكـنـ الـذـنـوبـ؛ أـيـ: تـنـذـهـ بـهـاـ، وـقـيـلـ: سـمـيتـ مـكـةـ لـأـنـهـاـ تـمـكـنـ الـظـالـمـ (الـجـبـارـ) فـيـهـاـ؛ أـيـ: تـنـقـصـهـ وـتـهـلـكـهـ، وـقـيـلـ: إـنـمـاـ سـمـيـتـ "بـكـةـ" لـأـنـ الـأـقـادـمـ تـبـكـ بـعـضـهـاـ بـعـضـاـ، كـذـلـكـ لـأـنـهـاـ تـبـكـ - أـيـ: تـنـقـعـ - عـنـ الـفـاجـرـ وـرـقـابـ الـجـبـاـبـرـةـ الـذـيـنـ يـبـغـونـ فـيـهـاـ، وـفـيـ الـلـسـانـ الـعـرـبـيـ: "مـكـةـ" هـيـ "بـكـةـ" ، وـالـمـيـمـ بـدـلـ مـنـ الـبـاءـ مـثـلـ: "ضـرـبةـ لـازـمـ" وـ"ضـرـبةـ لـازـبـ" ، وـرـوـيـ أـنـ بـكـةـ مـوـضـعـ الـبـيـتـ، وـمـكـةـ هـيـ الـحـرـمـ كـلـهـ، وـقـيـلـ أـيـضـاـ: إـنـ بـكـةـ الـكـعـبـةـ وـالـمـسـجـدـ، وـمـكـةـ هـيـ ذـوـ طـوـيـ، "الـطـوـيـ" وـهـوـ الـبـئـرـ الـمـطـوـيـ بـالـحـجـارـةـ، (بـطـنـ الـوـادـيـ) بـأـعـلـىـ مـكـةـ

- وهناك قولـ: إـنـ الـعـمـالـقـةـ عـنـدـمـاـ سـكـنـواـ مـكـةـ أـطـلـقـوـاـ عـلـيـهـاـ اـسـمـ "بـكـاـ" "بـكـةـ" وـهـيـ كـلـمـةـ بـالـبـلـيـةـ مـعـناـهـاـ الـبـيـتـ، وـسـمـاـهـاـ اللـهـ - كـمـاـ تـقـدـمـ - بـ"أـمـ الـقـرـىـ" ، فـقـالـ: (وـلـتـنـذـرـ أـمـ الـقـرـىـ وـمـنـ حـوـلـهـ) [الـأـنـعـامـ: ٩٢] ، وـسـمـاـهـاـ - تـعـالـىـ "الـبـلـدـ الـأـمـيـنـ" فـيـ قـوـلـهـ - جـلـ وـعـلاـ - : (وـالـتـيـنـ وـالـرـيـثـونـ * وـطـوـرـ سـيـنـيـنـ * وـهـذـاـ الـبـلـدـ الـأـمـيـنـ) [الـتـيـنـ: ١ـ ٣ـ] ، وـقـالـ - عـزـ مـنـ قـاـنـ - : (لـاـ اـقـسـمـ بـهـذـاـ الـبـلـدـ * وـأـنـتـ حـلـ بـهـذـاـ الـبـلـدـ) [الـبـلـدـ: ١ـ ٢ـ] ، وـقـالـ - عـزـ وـجـلـ - : (وـلـيـطـوـقـوـاـ بـالـبـيـتـ الـعـتـيقـ) [الـحـجـ: ٢٩] ، وـقـالـ - تـعـالـىـ - : (جـعـلـ اللـهـ الـكـعـبـةـ الـبـيـتـ الـحـرـامـ قـيـاماـ لـلـنـاسـ) [الـمـانـدـةـ: ٩٧] ، وـقـولـهـ - تـعـالـىـ - عـلـىـ لـسـانـ إـبـرـاهـيـمـ - عـلـيـهـ السـلـامـ - : (رـبـ اـجـعـلـ هـذـاـ الـبـلـدـ آمـنـاـ وـاجـنـبـيـ وـبـتـيـ أـنـ تـعـبـدـ الـأـصـنـامـ) [إـبـرـاهـيـمـ: ٣٥] ، وـقـالـ - تـعـالـىـ - أـيـضـاـ عـلـىـ لـسـانـ إـبـرـاهـيـمـ - عـلـيـهـ السـلـامـ - : (رـبـنـاـ أـيـ أـسـكـنـتـ مـنـ دـرـيـتـيـ بـوـادـ غـيـرـ ذـيـ زـرـعـ عـنـدـ بـيـتـكـ الـمـحـرـمـ) [إـبـرـاهـيـمـ: ٣٧] ، وـلـعـنـ اـسـمـ "مـكـةـ" كـانـ يـعـرـفـ بـاسـمـ "مـكـبـ"؛ أـيـ: مـقـدـسـ، ثـمـ تـحـوـلـ الـاـسـمـ إـلـىـ مـكـةـ.

احوال مكة الاقتصادية:

مـاـ لـاـ شـكـ فـيـهـ أـنـ الـعـربـ حـتـىـ قـبـلـ الـإـسـلـامـ، كـانـواـ يـرـؤـنـ مـكـةـ - مـنـذـ نـشـاتـهـ - بـقـعـةـ مـقـسـةـ، يـشـدـونـ إـلـيـهـاـ الرـحالـ مـنـ كـلـ أـرـجـاءـ جـزـيرـةـ الـعـربـ، كـمـاـ أـنـ وـادـيـ مـكـةـ كـمـكـنـتـهـ الـحـيـوـيـةـ كـمـحـطةـ مـهـمـةـ لـمـرـورـ قـوـافـلـهـمـ التجـارـيـةـ - بـيـنـ الـيـمـنـ وـبـلـادـ الشـامـ خـاصـةـ - وـسـوقـ رـئـيـسـةـ لـهـمـ لـوـقـعـهـ وـسـطـ الـطـرـيـقـ بـيـنـ شـمـالـ جـزـيرـةـ الـعـربـيـةـ وـجـنـوـبـهـاـ مـنـ نـاحـيـةـ، فـضـلـاـ عـنـ غـنـاهـ بـعـيـونـ الـمـاءـ الـوـفـيـرـةـ الـتـيـ تـحـتـاجـ إـلـيـهـاـ الـقـوـافـلـ الـتـجـارـيـةـ فـيـ حـلـهـاـ وـتـرـحالـهـاـ بـيـنـ الـيـمـنـ

جنوباً والشام شمالاً من ناحية أخرى، ومن المعروف أنَّ قريشاً احتكرتْ منذ نهاية القرن السادس الميلادي، تجارة الهند بفضل جهود زعيمها هاشم بن عبد مناف، جدَّ عبد الله والد النبي - صلَّى الله عليه وسلم - الذي يُعدُّ أولَ من سَنَّ رحلة قريش، (الإيلاف) رحلة الشتاء إلى اليمن (والحبشة والعراق) ورحلة الصيف إلى الشام، (لِيَلَافٌ قُرِيشٌ * إِيَّا لَفُومِ رَحْلَةِ الشَّتَاءِ وَالصَّيفِ * فَلَيَغْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمُهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمْنَهُمْ مِنْ خُوفٍ) [قريش: ١ - ٤].

كما أن موقع مكة الجغرافي - قبل الإسلام - بمثابة الوسيط الناجح والمُحايد بين عالمين، فموقعها الجغرافي من ناحية، وحافظتها على حياديتها من ناحية أخرى - حقق لها مكانة عظيمة في هذا الميدان الاقتصادي، ويكتفي دليلاً على ذلك أنَّ الإمبراطورية الرومانية الشرقية (بيزنطة) استعانت بتجار مكة الكبار من القرشيين، كوسطاء أمناء للتجارة، بنقل منتجات الهند والصين إلى أسواقها - كما تقدَّم - أنَّ القرشيين عقدوا المعاهدات التجارية مع أمراء العرب في الجزيرة العربية؛ مثل: شيوخ قيس، وأقيال اليمن، وأمراء اليamente، وملوك غسان والخيرة، هذا فضلاً عن الأتاوى التي كانت تفرضها قريش على التجار الأجانب، وعلى العرب الذين لا يرتبطون معها بحلف، من أهمَّ هذه الضرائب ضريبة العشور، وفي الوقت الذي كان يقوم فيه تجَّار بلاد الشام يحملون معهم إلى مكة القمح والزبيب والخمور ومصنوعاتهم المتنوعة، كان لمُترفِّهِم مجالس للسمير ينصبون لها الأرائك، ويمدوون فيها الموائد، ويتفَكَّهُون بما طاب من ثمارهم ويتدَّعون بفواكه الطائف الطازجة أو مجففات الشام وفلسطين المستوردة لمتاجرهم، ويعرفون طعام الفالوذج (حلوى فاخرة تُخلط مع العسل) نقاً عن الأمم المجاورة، كان تجَّار الجنوب يحملون معهم حاصلات الهند: من ذهب، وأحجار كريمة، وعاج وخشب الصندل، والتوابل، والمنسوجات الحريرية والقطنية والكتانية، والأرجوان والزعفران والأواني الفضية والتحاسية، هذا إلى جانب ما كانوا يحملونه معهم من منتجات إفريقيا الشرقية واليمن؛ كالعطور والأطياط، وخشب الأبنوس، وريش النعام، واللبان والأحجار الكريمة، والجلود.

وقد أثبتت هزيمة مشركي قريش في معركة بدر، غنى وثراء أغلب رجالها، وذلك بدفعهم مبالغ كبيرة فدية لأسراهُم في بدر، وقد عرفت أسرةبني مخزوم من الأسر المكية المشهورة بالثراء الكبير، ولعلَّ الوليد بن المغيرة (ت ١٦٢ هـ) كان أترى شخصيات هذه الأسرة.

وكان لتجار مكة في الوقت نفسه تجارة رابحة مع الحبشة والصومال، تتمُّ بواسطة طريق بحري، حيث كان لمكة ميناء على البحر الأحمر يُعرف بميناء الشعيبة، أمَّا العملة التي عرفتها مكة والجهاز عموماً فكانت الدينار والدرهم.

ولعلَّ من أهمِّ الصناعات التي اشتغل بها أهل مكة صناعة الأسلحة من سيف ودرع ورماح ونبال وسكاكين، كذلك صناعة الفخار من أباريق وصحاف وقدور، فضلاً عن صناعة الأسرة والأرائك، ولصلات أهل مكة التجارية بالشعوب والقبائل والأمم القرية والبعيدة، ازدادوا بها بأهمية التجارة البينية والدولية مع تأثيرهم واقتباسهم للمظاهر الحضارية، من اجتماعية وثقافية التي عرفوها من الروم والفرس.

كما حمل إليها تجَّار الجنوب من بلاد الهند الذهب والاحجار الكريمة والعاج والأرجوان وخشب الصندل والتوابل والمنسوجات الحريرية والقطنية والكتانية والزعفران، كما كانوا يحملون منتجات إفريقيا الشرقية واليمن من العطور والأطياط وريش النعام والاحجار الكريمة والجلود ، ومن البحرين الآلي واليowitz.

وهناك عامل لا يمكن إغفاله كان سبباً هاماً في سيطرة قريش على تجارة الهند والحبشة واليمن ، الا وهو:

الصراعات والحروب بين الفرس والبيزنطيين ، والذي عرق تجارتهم المارة بالعراق ، مما جعل البيزنطيين إلى الاهتمام بالطريق البحري عبر البحر الأحمر والذي كان خارجاً عن سيطرة ونفوذ الساسانيين الذين احتلوا اليمن. في عهد كسرى أنو شروان، إلا أن ذلك لم يقضى على تجارة البيزنطيين بعد اليمن عن بلاد فارس فبقيت التجارة نشطة بين اليمن والشام عن طريق مكة. ولم تكن مكة محطة للقوافل التجارية وطريقاً لها بل شارك أغلب أهل مكة بالتجارة وعملوا بها واصبحت لهم تجارة عظيمة امتدت إلى بلاد كثيرة في بلاد الشام والعراق واليمن والحبشة.

وتتفق المصادر على أن هاشم بن عبد مناف هو أول من سن رحبي قريش: رحلة إلى بلاد الشام وهي رحلة الشتاء، ورحلة إلى الحبشة وهي رحلة الصيف، وقيل رحلة الشتاء إلى اليمن والحبشة والعراق، ورحلة الصيف إلى الشام.

ويذكر المؤرخ اليعقوبي في كتابه التاريخ أن سبب ازدهار تجارة مكة وتوسيعها ذهاب هاشم إلى بلاد الشام، وكان قد شاع عنه الكرم، وكان من أحسن الناس وأجملهم فذكر لقينصر، فارسل إليه فلما رأه وسمع حديثه أعجب به وبلغته طلب هاشم من الملك قيصر أن يكتب له كتاباً يوماً منهم ويؤمن تجارتهم واستجاب له قيصر بعد شرح هاشم حال قومه ووصفهم بتجار العرب. وبذلك أخذوا الآلاف من مكة والشام. أي أن هذه الرواية ترجع بدء اشتهر قريش التجارة إلى أيام "هاشم"، وهي تزعم إن تجارة قريش كانت منحصرة في مكة، يتاجر أهلها بعضهم مع بعض، فتقدم العجم عليهم بالسلع، فيشترونها منهم ثم يتباينونها بينهم، ويبيعونها لمن حولهم من العرب، وكانوا كذلك حتى ركب "هاشم بن عبد مناف" قنصل قيصر، وتعاقد معه على أن يسمح له ولتجار قريش بالتجار مع بلاد الشام، فوافق كل ذلك، وأعطاه كتاباً بذلك. فلما عاد، جعل كلما مر بـ ي من العرب بطريق الشام، أخذ من أشرافهم إيلافاً. واشتهرت، أي عقد أمان، فضمن بذلك لقومه حرية التجارةمنذ ذلك العهد.

ومن نتائج اشتغال أهل مكة بالتجارة تعلمهم الكتابة والحساب والمكاييل والميزان والمثقال والقرض، كما عرفوا نظام الامانات والودائع ونظام الصكوك وغير ذلك من الأمور التي يتطلبها العمل بالتجارة وكانت العملات السائدة في مكة هي الدينار والدرهم كما أوضحتنا سابقاً.

وفضلاً عن موارد مكة من التجارة كانت لديها مورد آخر وهم إلا وهو موردها من الحج الذي يعد من مصادر ثروتها. إذ كان الحج فضلاً عن كونه ظهراً دينياً للعرب قبل الإسلام، ووسيلة للاجتماع والالقاء والتعارف، كان من وسيلة من وسائل التكسب بالتجارة، فكانت تقام في مواسم الحج أسواق تجارية وادبية مثل سوق عكاظ غيره مما ذكرنا سابقاً وفي هذه الأسواق كان العرب من سائر أنحاء شبه الجزيرة يأتون ببعضهم المختلف فيهينون لأهل مكة سوقاً تجارياً للتبدل التجاري.

ولا يفوتنا الذكر الصناعات البسيطة في مكة كصناعة الأسلحة والسيوف والدروع والنحو ذلك، إذ عرفوا صناعة الفخار واباريق واسرة والارائك.

سكن مكة:

ترى المصادر العربية أن أول من حكم مكة وببلاد الحجاز في خابر الأزمان هم من العمالقة، ثم خلفتهم قبائل جرمهم القحطانية اليمنية، وبقياها من الأمم البدائية، وفي عهد جرمهم قدم إلى مكة - إبراهيم - عليه السلام - مع زوجته هاجر وابنها إسماعيل الذي ترعرع وسط قبيلة جرمهم، فعرف لقائهم وتزوج منهم، واحتل مكانة مهيبة بينهم، وبقيت قبيلة جرمهم الرعامة على مكة والكعبة (البيت الحرام) نحوًا من ثلاثة عشر سنة، من وهي ما نقدم فإن بعض المحدثين والمورخين القدماء يتذمرون على أن إبراهيم - عليه السلام - قال لابنه إسماعيل: "إن الله - تعالى - قد أمرني أن أبني له بيئاً هنا"، فوق الربوة الحمراء القائمة قرب بئر زمزم (بنر إسماعيل)، وطلب من ابنه أن يعيشه في بناء البيت، فلم يزد إبراهيم يحرق حطى وصل إلى القواعد، في ذلك يقول الله: (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمَ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلَ رَبَّنَا تَقَبَّلَ مِنَا أَنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْغَلِيمُ) [البقرة: ١٢٧]، (وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ) [الحج: ٢٦]، وفي هاتين الآيتين الكريمتين - عند المفسرين - خير دليل على أن قواعد البيت كانت منية قبل إبراهيم - عليه السلام - وقد هداه الله إليها وبُوئي لها؛ أي: إن الأساس الأول للبيت كان موجوداً، والبناء الأول له كانت قواعده قائمةً بوضوح على عهد إبراهيم - عليه السلام.

كما ترى هذه المصادر في الوقت نفسه أن إبراهيم - عليه السلام - رفع هذه القواعد بعد طوفان نوح - عليه السلام - وقد وقى الله قواعد بيته وأساسه الأول من هذا الطوفان المغرق، يستدل من هذا أيضاً أن الكعبة كانت موجودة قبل عهد نوح - عليه السلام - الأمر الذي يرجح - كما سبق ذكره - أن واسع حجر الأساس في بناء البيت العتيق آدم - عليه السلام - أو الملائكة، ومهما يكن من أمر فإن إبراهيم - عليه السلام - هو رافع القواعد من البيت، وعندما ارتفع البناء أتى إبراهيم - عليه السلام - بحجر ليقف عليه أثناء بناء الكعبة، فسمى الحجر (مقام إبراهيم) وبعد أن أتم إبراهيم وابنه إسماعيل البناء - منذ أكثر من أربعة آلاف سنة - أمر الله - عز وجل -

نبيه ابراهيم - عليه السلام - فقال: (وَأَذْنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجَّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِئَ مِنْ كُلِّ فَجَّ عَمِيقٍ) [الحج: ٢٧] ، فلم يزَلْ مِنْ رَفْعَهُ اللَّهُ مَعْمُورًا .

ووفدت خزاعة الى مكة بعد السبيل العرم (انها يار سد مارب) ونزلوا بظاهرها وبعد الحروب التي نشبت بينهم وبين جرهم انتهت بتغلب قبيلة جرهم على قبيلة خزاعة اليمينية وكان اول من حكم منهم هو عمرو بن لحي ، الذي غير دين ابراهيم عليه السلام وادخل عبادة الاوثان وقيل انه اتى بالاصنام من الشام ونصبها حول الكعبة .

وظلت خزاعة تتولى امر البيت . وقبيلة مصر فلها حق الجازة بالناس من عرفة والافاضة بهم غادة النحر الى منى .

ثم كثرت بطون القبائل من كنانة ومضر وشكروا جزءاً من سكان مكة وصاروا احياء وبيوتات متفرقة وكانوا اذاك يقيمون بظاهر مكة ، الى أن تمكن قصي بن كلاب بن مرة من انتزاع السيادة والادارة من خزاعة ، ويرجع الفضل الى قصي في جمع قريش وتقسيمهما الى بطون ، فميز بين قريش البطاح وقريش الظواهر وبذلك قضى على الفوضى والاضطراب وادخلهم قلب مكة وجعلهم فيها اسياداً .

وبذلك تنتزع قريش التي قويت شوكها - حوالي منتصف القرن الخامس الميلادي - السيادة من خزاعة على البيت الحرام، ليصبح زعيم قريش قصي بن كلاب الرئيس الديني بانتقال حجابة (سدانة) الكعبة إليه، وهو نفسه الذي بنى دار الندوة (دار الشُّورى)؛ لتكون مركزاً لاجتماع الفرسان للتشاور في شؤونهم العامة .

ويقصد بقريش البطاح هم الذين كانوا يسكنون مكة نفسها. وكانت الادارة والوظائف الكبرى بيد رجالها من التجار والاغنياء. وهم من قبائل عبد مناف وبني عبد الدار وبني عبد العزى ابن قصي وزهرة ومخزوم وغيرهم .

اما قريش الظواهر فهم البطون التي سكنت اطراف مكة ومنهم بنو محارب وبنو الاردم .. الخ ولم يكن لهم دوراً مهمـاً عند ظهور الدعوة الاسلامية او بعدها الا ان دورهم انحصر في مشاركتهم في الدفاع عن مكة.

وشكلت بعض القبائل البدوية عنصراً من عناصر سكان مكة اذ سكنتها قبائل عرفت بـ الاحلاف واغلبهم من كنانة وكانوا يشاركون اهل مكة في معظم حروبهم ويسمون بـ الاحابيش وكانوا قبائل بدوية غير منظمة كما استوطن بمكة ايضاً عدد من الاجانب المتنميين الى عشائر او امم شتى ، وكثير ما سكن هؤلاء في الشعاب المحيطة بمكة ، وقد سمح لبعضهم حق دخول دار الندوة .

اما تسمية قريش فقد تعددت الآراء اللغوية والتاريخية حول هذه التسمية ويمكن عرضها على النحو الآتي :

هذا، وقد اختلف في أصل تسمية قريش، فقيل: إنما سميت قريش قريشاً من التقرش، والتقرش: التجارة والاكتساب ذكر ذلك ابن هشام وقال: والقروش: التجارة والاكتساب

وفي رأي آخر وقال ابن إسحاق: ويقال: إنما سميت قريش قريشاً لتجتمعها بعد تفرقها ويقال للتجمع: التقرش عن قريش مثل سmek القرش تبتلع غيرها من القبائل الأخرى لقوتها وعظمتها

فاما بنو يخلد، فهم فيبني عمرو بن الحارث بن عوف بن مالك بن كنانة. ومنهم: ...: وقال مصعب الزبيري قريش بن بدر بن يخلد بن النضر، وكان دليلبني كنانة في تجارتهم، فكان يقال: "قدمت غير قريش" فسميت قريش بذلك

وقال ابن هشام: إن قريشاً هو النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، فمن كان من ولد النضر فهو قريشي ومن لم يكن من ولد النضر فليس بقريشي

ثم استطرد ابن هشام فقال: النضر هو قريش، فمن كان من ولده فهو قريشي، ومن لم يكن من ولده فليس بقريشي، قال : ويقال: فهو بن مالك هو قريش، فمن كان من ولده فهو قريشي، ومن لم يكن من ولده فليس بقريشي" ، "والذي عليه الأكثر أن النضر ابن كنانة .

اما الازرقى صاحب كتاب اخبار مكة فينسب قريش الى قصي بن كلاب ، كونه جمعهم بمكة فسميت قريش
قريشاً.

وخلاله القول أن قريشاً ربما تكون اسمًا لأحد اعقاب النصر بن كانة.
وقد عرفت قريش بعدة أسماء قبل الاسلام منها: العالمية وسميت بذلك لفضلهم وعلمهم، كما عرفت بالله وجيران الله وسكنان الله ، ومن أشهر اسمائها ايضاً السخينة ، وظل هذا الاسم ملزماً لها حتى ظهور الاسلام.

وبعد وفاة قصي انتقلت الرئاسة إلى ابنه عبدالدار، إلى أن تفرقت الرئاسة في أبناء عبدمناف (شقيق قصي)
فتقدّرها هاشم بن عبدمناف، وانتهت العامة في قريش بعد وفاة هاشم إلى ابنه عبدالمطلب المعروف باسم
شيبة الحمد الذي أتَى إليه الرفادة (اطعام الحاج أيام الموسم وسقايتها) ظلت سدنة الكعبة فيبني
عبدالمطلب يتوارثونها قبل وبعد الاسلام إلى اليوم.

ومن أبرز أعمال عبدالمطلب كشف بئر زمم (بئر إسماعيل)، وإعادة حفره سنة (٤٥٥) بعد أن رأى في
منامه أن يحفر زمم في المكان الذي هي فيه وكانت زمم طمست أيام جرمهم؛ بيد أنه كان لوجودها بجوار
الเคبة حافر لجذب القبائل، وسكنهم حول البيت الحرام منذ زمن قديم، وتنقق الروايات في الحديث عن معجزة
زمم، أنه لما نفذ الماء والطعام ويبدأ بكاء - ابن هاجر - إسماعيل يتعالى، طافت هاجر تهُرُول بين جبلي الصفا
والمروة، حتى إذا عاذت تتفقد ولدها إسماعيل وجذته يُصارع الموت عطشاً، وما أن أتمت هروتها (السعى)
سبع مرات، إذا بجبريل - عليه السلام - أمامها يضرب الأرض بقدمه.

وقيل: إن إسماعيل ضرب الأرض بقدمه، فتبع الماء العذب من الأرض؛ لتظهر إلى الوجود بئر زمم أو (بئر
إسماعيل)، وهنا سقطت هاجر طفلها، لكنها في الوقت نفسه تملّكتها الخوف من طغيان الماء على طفلها، فأخذت
وتقول: "زمي يا مباركة، زمي"، وجعلت تحوطه - أي: طفلها - بالتراب؛ لأنّا نذهب سيل الماء المتقدّم به،
ويعتقد أن تسمية هذا البئر (العين) بزمم جاءت من هذه الكلمات لهاجر.

قد جاء عن زمم في الحديث الشريف: ((خَيْرٌ ماءٌ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ماءٌ زَمْرَمٌ، فِيهِ طَعَامٌ طُعمٌ وَشَفَاءٌ سُقُمٌ))،
وقال - صلى الله عليه وسلم - : ((إِن شَرِبْتَ مِن ماء زَمْرَمٍ تَرِيدُ الشَّفَاءَ شَفَاكَ اللَّهُ، وَإِن شَرِبْتَهُ لَظَمَّ رَوَاكَ اللَّهُ،
وَإِن شَرِبْتَهُ لَجَوَعَ أَشْبَعَكَ اللَّهُ)).

اهم الاحداث التاريخية في مكة قبل الاسلام:

قصة عبدالمطلب وأبرهة الأشرم:

من الأحداث التاريخية الكبرى في عهد عبدالمطلب محاولة أبرهـة الأشرم أبو يكسوم حاكم اليمـن من قبل
النجاشي ملك الحبشـة - هدم الكـعبـة سنة (٥٧٠) أو في (٥٧١) فـاصـداً أن يـجدـبـ الحـجـاجـ العربـ إلىـ القـلىـشـ -
كنـيسـةـ كـبـيرـةـ بـنـاهـاـ أـبـرـهـةـ نـفـسـهـ بـصـنـعـاءـ - فـحـشـدـ لـهـاـ الغـرـضـ جـيشـاـ كـبـيرـاـ تـقـدـمـهـ الفـيلـ الضـخـمةـ، اـخـتـافـ
المـؤـرـخـونـ فـيـ عـدـهـاـ، فـمـنـهـ مـنـ قـالـ: إـنـ عـدـهـاـ اـثـنـاـ عـشـرـ فـيـلـاـ، اوـ ثـلـاثـةـ عـشـرـ فـيـلـاـ، وـأـوـصـلـهـ بـعـضـهـمـ إـلـىـ
الـأـلـفـ فـيـلـ، عـلـىـ أـيـ حـالـ وـصـلـ أـبـرـهـةـ بـجـيـشـهـ وـفـيـلـهـ وـعـسـكـرـ عـلـىـ مـشـارـفـ مـكـةـ، فـأـبـيـ الفـيلـ الرـئـيـسـ الـذـيـ كـانـ
يـمـتـطـيـهـ أـبـرـهـةـ بـالـتـقـدـمـ، وـحـاـوـلـ الـأـحـبـاشـ جـهـدـهـمـ مـعـ الـفـيلـ الـمـتـقـدـمـ إـلـىـ الـأـمـامـ، وـكـلـمـاـ وـجـهـهـ نـحـوـ الـكـعبـةـ تـوـقـفـ
وـبـرـكـ، إـذـاـ وـجـهـهـ نـحـوـ الـيـمـنـ أـسـرـعـ مـهـرـوـلـاـ بـأـتـجـاهـهـ، وـفـيـ الـلـحظـةـ الـحـاسـمـةـ تـدـخـلـتـ الـعـنـاـيـةـ الـإـلـهـيـةـ؛ـ فـأـرـسـلـ
الـلـهـ -ـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ -ـ دـفـاعـاـ عـنـ بـيـتـهـ الـكـعبـةـ الـمـشـرـفـةـ الطـيـرـ الـأـبـابـيـلـ؛ـ لـتـمـنـيـ الـحـمـلـةـ بـهـزـيمـةـ نـكـرـاءـ مـشـهـودـةـ،ـ
وـلـنـظـلـ مـكـةـ وـلـتـبـقـيـ عـذـراءـ عـصـيـةـ عـلـىـ الـغـرـأـةـ مـنـ قـوـىـ الشـرـ،ـ وـهـيـ التـيـ لـمـ تـخـضـعـ يـوـمـاـ -ـ وـلـنـ تـخـضـعـ -ـ لـأـيـ
مـعـتـدـ غـاشـمـ،ـ لـنـ يـسـطـعـ أـبـدـاـ -ـ بـاـدـنـ اللـهـ -ـ أـنـ يـخـرـقـ أـرـضـ مـكـةـ أـوـ يـبـلـغـ جـبـالـهـ طـوـلاـ،ـ وـقـدـ ذـكـرـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ هـذـاـ
الـحـدـثـ الـتـارـيـخـيـ فـيـ سـوـرـةـ الـفـيـلـ:ـ (أَلْمَ تَرَكَ فَعْلَ رَبِّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلْمَ يَجْعَلُ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ
عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيْهِمْ بِحَجَارَةٍ مِنْ سِجِيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ)ـ [الـفـيـلـ:ـ ١ـ -ـ ٥ـ].ـ

لقد زاد هذا الحدث التاريخي في تقدس العرب وإجلالهم لمكة و"كعبتها المشرفة"، وأصبحت عندهم رمزاً
لاستقلالهم وعزتهم وقوتهم، في الوقت نفسه ارتفع شأن قريش وزعيمها "سيد مكة" عبدالمطلب، بعد إخفاق
هذه الحملة الهائلة... ومن مكرور القول: إن لقاءَ تَمَّ بين عبدالمطلب وأبرهـةـ، فـسـأـلـ أـبـرـهـةـ عبدـالمـطـلـبـ عنـ
 حاجـتـهـ، فـقـالـ عبدـالمـطـلـبـ:ـ "ـحـاجـتـيـ أـنـ تـرـدـ إـلـىـ مـانـتـيـ بـعـيرـ أـصـبـتـهـ لـيـ،ـ فـرـدـ أـبـرـهـةـ:ـ \"ـكـنـتـ أـعـجـبـتـيـ حـينـ
رـأـيـكـ،ـ ثـمـ زـهـدتـ فـيـكـ حـينـ كـلـمـتـيـ،ـ تـكـلـمـنـيـ فـيـ مـانـتـيـ بـعـيرـ أـصـبـتـهـ لـكـ وـتـرـكـ بـيـتـاـ هوـ دـيـنـ آـبـاـكـ وـقـدـ جـنـتـ

لهدمه لا تكلمني فيه!" ، قال: عبدالمطلب: "إني أنا رب إبلي، وإن للبيت ربًا يحميه" ، وهكذا كان وسيكون... وخرج عبدالمطلب من عند أبرهة غاضبًا يردد شعرًا:

يا رب لا أرجو لهم سواكًا

يا رب فامنعوا منهم حماكًا

إن عدُوا البيت من عاداك

امنعواهم أن يخربوا قراك

ولادة المصطفى محمد - صلى الله عليه وسلم:

في وسط أحداث جسام وفوضى عارمة، وجهالة جهلاء، وظلمات فوقها ظلمات أحاطت بجزيرة العرب من كل جانب - ا炳اج نور الحق والهدى، بمولد سيد الخلق محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - وكانت ولادته على الأرجح في الليلة الثانية عشرة من ربيع الأول الموافق للعشرين من شهر نيسان "أبريل" ٥٧٠ أو ٥٧١ م، ليصوغ للبشرية تاريخاً مشرقاً جديداً، حاملاً رسالة التوحيد، على غير مثال سابق أو لاحق، مبلغًا عن رب العالمين الأمانة، ناصحاً الأمة، وكان وما زال وسيبقى في عظيم خلقه، وحكمته، وشجاعته، وصدقه، وأمانته، وسموّ أدبه، ورفع ذوقه، ومناقبه الشريفة التي لا تُحصى - المثل الأعلى، والقدوة الأسمى، والأسوة الحسنة للناس كافة:

مُحَمَّدٌ أَشْرَفُ الْأَعْرَابِ وَالْعَجمِ

مُحَمَّدٌ خَيْرُ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمِ

مُحَمَّدٌ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ مُضَرٍّ

مُحَمَّدٌ خَيْرٌ رُسُلِ اللَّهِ كُلُّهُمْ

نظام الحكم في مكة:

أن أجتماع الناس واستقرارهم في مكة كان له أثره في اضعاف مظاهر التكتل القبلي. وتكيف الناس إلى المجتمع الجديد، وقد كان تقدير العرب للكعبة سبباً في اهتمام قريش بتنظيم الحج إليها، ونتج عن ذلك ظهور انظمة سياسية ووظائف دينية اختص بها أشرافهم، ومن أهمها : الملا و هو بمثابة مجلس الشيوخ ، وكان يتكون من أشخاص تؤهلهم صفاتهم لقيادة الناس أمثال قصي بن كلاب و عبد مناف و عبد المطلب و هشام بن المغيرة وغيرهم من اشتهر بالحرب والسياسة والتجارة. ودار الندوة.

اذ عمل قصي حينما تمت له السيادة على مكة ان يمسك بالوظائف ذات الطبيعة السياسية والإدارية والمالية فكانت له الحجابة والسكنية والرفادة والندوة واللواء ، فجاز شرف مكة كله.

وعلى الرغم من انه بعض هذه الوظائف كانت لاتخلو من بعد ديني كالحجابة فان الطابع الاداري والمالي كان هو الغالب على مابيدو.

أما الوظائف ذات الطبيعة الدينية البحتة التي كانت متصلة بمناسك الحج كالإجازة بالحج والإفاضة من جمع غذاء النحر الى منى والنسيء للشهور الحرام فقد أبقاها بيد اصحابها القدماء . وقد استحدث قصي بعض الوظائف الجديدة في مكة من أجل تنظيم إدارة المدينة وتحسين علاقاتها الخارجية مع ابناء القبائل العربية الذين يفدون الى مكة في موسم الحج . وقد بقيت هذه الوظائف قائمة حتى مجيء الرسالة الإسلامية ، وسنشير فيما يأتي عن هذه الوظائف:

- 1-دار الندوة:** يبدو ان قصي اراد تنظيم المشاوره بطريقه تجعلها قاعده ثابتة لا دارة شؤون مكة فقام ببناء دار الندوة ، وجعل بابها الى المسجد الحرام . وكانت هذه الدار بمثابة دار الحكومه الذي تدار فيه أمور قبيلة قريش كلها. وكان لا يدخلها من قريش او غيرهم الا من بلغ الأربعين من عمره وتعتبر دار الندوة ملكاً خاصاً لبني عبد الدار يتوارثونها .
- 2-الرفادة:** هو استضافة الحجاج في مكة وتوفير الطعام لهم في موسم الحج
- 3-السقاية:** هي توفير الماء لشرب الحجاج ، حيث يكثر الناس في مكة ويشح الماء فقد امر قصي بصنع حياضاً للماء من أدم فيسكن فيها بمكة ومنى وعرفه .
- 4-العمارة:** وهي مراعاة الادب والوقار في البيت الحرام
- 5-الحجابة:** هي فقل البيت الحرام وفتحه للزائرين
- 6-المشوره:** وهي ان لا يجتمعون على امرا حتى يعرضوه على صاحبها
- 7-الاشناق:** وهي جمع الاموال الخاصة بالديات والمفارم والقيام على أدائها
- 8-العقبة:** وهي خيمه تجمع فيها اسلحة المسلمين .
- 9-الاعنه :** وهي قيادة خيل قبيلة قريش في الحرب .
- 10-السفارة:** وهي وظيفه مهمتها الاتصال بالقبائل الاخرى في المنافرات والمفاوضات .
- 11-الايسار:** وهي وظيفه تتصل بالاستقسام بالازلام التي يضرب بها عند هبل كبير الاصنام في جوف الكعبة
- 12-الحكومة:** وهي وظيفه مهمتها الفصل في النافرات والخصومات ، والاموال المحجرة وهي الاموال المسممة للإلهة .
- 13-العقاب** وهي رايه قريش ، وكان من واجب حامل الراية ان يخرجها اذا حميت الحرب .
اما عن القضاء في مكة فلم يكن هناك وظيفة لقاض او حاكم يفصل بين الناس ، بل كان رئيس القبيلة هو الحكم في المنازعات التي تنشأ بين افراد القبيلة .